الباب الثانى عشر

الورد وأقسامه

[لا يستحقر الورد إلا جهول ، الوارد يوجد فى الدار الآخرة ، والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ، وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده ، الورد هو طالبه منك ، والوارد أنت تطلبه منه ، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه ؟] .

قلت : الورد فى اللغة هو الشرب ، قال تعالى : (بِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ)[1] .

وفى الاصطلاح ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات . والوارد فى اللغة : هو الطارق والقادم ، يقال ورد علينا فلان : أى قدم . وفى الاصطلاح : ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من النفحات الإلهية فيكسبه قوة محركة ، وربما يدهشه أو يغيبه عن حسه ، ولا يكون إلا بغتة ولا يدوم على صاحبه .

ثم إن الورد ينقسم على ثلاثة أقسام : ورد العباد والزهاد من المجتهدين . وورد أهل السلوك من السائرين . وورد أهل الوصول من العارفين .

فأما ورد المجتهدين فهو استغراق الأوقات فى أنواع العبادات ، وعبادتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام ، وقد ذكر فى الإحياء والقوت أوراد النهار وأوراد الليل ، وعين لكل وقت وردًا معلومًا .

وأما ورد السائرين فهو الخروج من الشواغل والشواغب ، وترك العلائق والعوائق ، وتطهير القلوب من المساوى والعيوب ، وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل ، وعبادتهم ذكر واحد ، وهو ما يعينه له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب .

---

(١) هود : ٩٨ .

وأما وِرد الواصلين فهو إسقاط الهوى ومحبة المولى ، وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف فى الحضرة فكل من أقامه مولاه فى وِرد فليلتزمه ولا يتعدى طَوره ولا يستحقر غيره ، إذ العارف لايستحقر شيئًا بل يصير مع كل واحد فى مقامه ، ويقرر كل شيء فى محله ، فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا جهول أو معاند ، وكيف يستحقر الورد وبه يكون الورود على الملك المعبود ؟ الورد يوجد ثوابه وثمرته فى الدار الآخرة ، والوارد الذى تطلبه ينطوى بانطواء هذه الدار ، قال تعالى : (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[1] وجاء فى الأثر : « إِنَّ اللهَ يَقُولُ اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَتَقَاسَمُوهَا بِأَعْمَالِكُمْ » .

وأيضاً المراد من الواردات ثمراتها ونتائجها ، وهو ما يعقبها من اليقين والطمأنينة والرضا والتسليم ؛ وغير ذلك من المحاسن ، فإذا أعطتك نتائجها وجنيت ثمراتها فلك فى الله غنى عنها ، فلا يستحقر الوردَ ويطلب الوارد إلا من كان عبد الوارد ، وأما من كان عبد الله فلا يلتفت إلى ما سواه ، بل يلزم ما هو مكلف به من وظائف العبودية ، قياماً بحق عظمة الربوبية ، فهو الذى يدوم ، وبه يتوصل إلى رضا الحى القيوم ، وأولى ما يعتنى به الإنسان ما ينقطع وجوده بانقطاع مونه وهو ورده ، فيغتنم وجوده مادام فى هذه الدار ، فليس فى تلك الدار عمل ، وإنما هى دار جزاء وحصول أمل ، فالدنيا دار عمل لا جزاء فيها ، والآخرة دار جزاء لا عمل فيها ، فليغتنم الإنسان عمره قبل الفوات ، فما من زمن يخلو عنه إلا وهو فائت منه .

وقد جاء فى الحديث « لَا تَأْتِي عَلَى الْعَبْدِ سَاعَةٌ لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » اهـ .

والذكر متنوع ، كل بحسب حاله .

وقال الحسن رضى الله عنه : أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم ، وفى معنى ذلك قيل :

السِّبَاقَ السِّبَاقَ قَوْلًا وَفِعْلًا حَذِّرِ النَّفْسَ حَسْرَةَ الْمَسْبُوقِ

---

(١) سورة الزخرف : ٧٢ .

وفي بعض الأحاديث عنه عليه الصلاة والسلام : «مَن اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ ، وَمَنْ كانَ يَوْمُهُ شَرًّا مِنْ أَمْسِهِ فَهُوَ مَحْرُومٌ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فى الزِّيَادَةِ فَهُوَ فِي النُّقْصَانِ ، وَمَنْ كانَ فِي النُّقصَانِ فَالمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ » .

وأولى ما يعتنى به العبد أيضًا ما هو طالبه منه الحق تعالى وهو الورد ، دون ما يطلبه هو منه وهو الوارد ، فالورد من وظائف العبودية وهو الذى طلبه منا الحق تعالى ، والوارد من وظائف الحرية ولذلك تطلبه النفس وتتعشق إليه ، وأين ما هو طالبه منا مما هو مطلبنا منه ؟ بينهما فرق كبير .

قال الشيخ زروق رضى الله عنه : بينهما فى القدر ما بينهما فى الوصيف : «قَضَاءُ الله أَحَقُّ ، وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» اهـ.

فتحصل أن الاعتناء بالورد أفضل وأكمل من الاعتناء بالوارد ، لأن الورد من وظائف العبودية وهى لا تنقطع مادام العبد فى هذه الدار ، كما أن حقوق الربوبية لا تنقطع كذلك حقوق العبودية لا تنقطع .

قال النقشبندى رحمه الله : ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، « فَقِيلَ لهُ : تَفْعَلُ هٰذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فَقَالَ : أفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُوراً » .

فأفاد صلى الله عليه وسلم أن شكر النعمة تمام الخدمة وهو موجب المزيد ، قال تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)[1] .

وهذا سبيل طائفة الجنيد رضى الله عنه ، لم يترك أوراده فى حال نزعه ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : ومن أولى منى بذلك وهذه صحائفى تطوى . فلم يترك الخدمة رضى الله عنه فى مثل هذه الحالة فكيف بسواها . قيل له إن جماعة يزعمون أنهم يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف . قال : وصلوا ولكن إلى سقر .

---

(١) إبراهيم : ٧ .

وقال فى كلام آخر : هذا كلام من يقول بالإباحة ، والسرقة والزنى عندنا أهون حالا ممن يقول بهذه المقالة ، ولقد صدق رضى الله عنه فى قوله هذا ، فإن الزانى والسارق عاص بزناه وسرقته ولا يصل إلى حد الكفر .

وأما القائل بسقوط الفرائض المعتقد لذلك فقد انسل من الدين كانسلال الشعرة من العجين ، فعض على هذا الأصل بالنواجذ يا أخى ، ولا تسمع كلام من أخذ الحقائق من الكتب وصار يتكلم بالزندقة والإلحاد وإسقاط الأعمال على حسب فهمه وهواه . قال صلى الله عليه وسلم :

« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكونَ هَوَاهُ تَابِعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ » .

وقال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ)[1] .

فعليك بمتابعته صلى الله عليه وسلم ومتابعة السلف الصالح فى الأقوال والأفعال والأحوال تحز مقامهم وتسكن معهم ، فالمرء مع من أحب ا هـ كلام النقشبندى وهو حسن ، لأن من أخذ الحقائق من الكتب لا ذوق عنده ، وإنما يترامى على الحقيقة بالعلم ، فيتبع الرخص ويسقط فى مهاوى الهوى .

وأما من كان من أهل الأذواق فسره مكتوم ، وأمره محزوم ؛ عبادته أدب وشكر ، وهو أحق بدوام الشكر ، وكيف ينكر الواسطة ولولا الواسطة لذهب الموسوط .

قال أبو الحسن الدراج رضى الله عنه : ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعدما أتحفهم الله به من الكرامات ، فقال الجنيد رضى الله عنه العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك ا هـ .

وقد رأى رجل الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبحة ، فقال له : أنت مع شرفك تأخذ فى يدك سبحة . فقال نعم ، سبب وصلنا إلى ما وصلنا فلا نتركه أبداً ا هـ . فالشريعة باب والحقيقة بيت الحضرة ، قال تعالى :

(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)[2] .

ثم قال : فلا دخول للحقيقة إلا من باب الشريعة ، ولله در سيدى عبد الله

---

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) البقرة ١٨٩ .

الهبطى الزجلى رضى الله عنه حيث يقول فى منظومته :

وَثَالِثُ الْفُصُولِ فِي الشَّرِيعَهْ لِأَنَّهَا إِلَى الهُـدَى ذَرِيعَهْ
فَكُلُّ بَاب دُونَهَا مَسْدُودُ وَمَنْ أَتَى مِنْ غَيْرِهَا مَرْدُودُ
قَد اصْطَفَاهَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَل بِفَضْلِهِ وجودِه عَلَى الْمِلَلْ
طَـرِيقَةُ الْعَـدْنَانِ للرَّحْمٰنِ مَحْفُوفَةٌ بِالنورِ وَالرِّضْوَانِ
طوبى لِمَنْ أَتَى بِهَا لِلْعَرْضِ وَالْوَيْلُ لِلَّذِى بِهَا لَمْ يَقْضِ
يَا أَيُّهَا المُرِيدُ إِنْ أَرَدْتَ وِصَالَ مَنْ بِحُبِّهِ شُغِفْتَ
فَشُدَّ مِنْكَ الْكَفَّ يَـاوَلِيّ عَلَى شَرِيعَةِ النَّبِى الأمِيِّ
حَصِّلْ جَمِيعَ مَالَهُ الشَّرْعُ ارْتَضَى وَكُنْ لِكُلِّ مَا سِوَاه رَافِضاً
تَرَى الْفُؤَادَ صَافِيًا وَشَارِقًا وَعَنْ سِوَى المَوْلَى إِلَى المَوْلَى ارْتَقَى

ثم قال :

فَبِالشرِيعَةِ الْوِصَالُ لِلْمُنَى كَالْفَوْزِ بِالْبَقَاء مِنْ بَعْدِ الْفَنَا
وَمَنْ يَظُنُّ الْخَيْرَ فى سِوَاها فَـإِنَّـهُ وَاللهِ مَـا دَرَاهَـا

قلت : وقد رأيت كثيراً من الفقراء قصروا من الشريعة ، فخرجوا من الطريقة ، وسلبوا نور الحقيقة . ورأيت آخرين طال أمدهم فى صحبة القوم ، ولم يظهر عليهم بهجة المحبين ولاسيما العارفين ، وما ذلك إلا لعدم التحفظ على مراسم الشريعة .

وكان شيخنا اليزيدى رضى الله عنه يقول : كل من ترك الشريعة من غير جذب ولا عذر سلوكه كبيرة ا هـ .

قلت : والله ما رأينا الخير إلا فيها ، وما ربحنا إلا منها ، فالله يرزقنا الأدب معها إلى يوم الفصل والقضاء آمين .

ثم ذكر ثمرة الورد ونتيجته وهو المدد الإلهى ، إذ بقدر الاستعداد تحصل الأمداد ولا استعداد لها إلا بدوام الأوراد ، وتفرغ الفؤاد ، فقال :

[ورود الأمداد ، بحسب الاستعداد] .

قلت : المراد بالأمداد أنوار التوجه للسائرين ، وأنوار المواجهة للواصلين ، فهى تتوالى على قلوب العباد بحسب التأهب والاستعداد ، فبقدر المجاهدة تكون المشاهدة ، وبقدر التخلية تكون التحلية .

وفائدة هذه الأمداد تطهير القلوب من الأغيار ، وتقديس الأسرار من غبش الحس والأكدار ، والوقوف مع الأنوار ، فلا تزال أمطار المدد تنزل على أرض النفوس الطيبة ، والقلوب المطهرة ، والأرواح المنورة ، والأسرار المقدسة ، حتى تمتلئ بأنوار المعانى فحينئذ تنشق لها أسرار الذات ، وتتعلق لها أنوار الصفات ، فتغيب بشهود الذات عن أثر الصفات ، ثم ترد إلى شهود الصفات بالذات ، والذات بالصفات ، لا يحجبها جمعها عن فرقها ، ولا فرقها عن جمعها ، تعطى كل ذى حق حقه ، وتوفى كل ذى قسط قسطه .

قال شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه فى بعض رسائله : فإن قلتم أى وقت نكون كالجبال : (تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)[1] .

قلنا : إذا زهدتم فى الدنيا بالكلية ، وقطعتم الإياس من الرجوع إليها بالكلية ، ثم اعتقدتم فى شيوخكم أنهم كمّل وأنهم على قدم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من ورثة النبى صلى الله عليه وسلم ، فوالله العظيم لينزل عليكم المدد الليل والنهار والشهر والعام ، وفى كل وقت وساعة ولحظة ، حتى تمتلئ قلوبكم بمعرفة الله ، وتطمئن قلوبكم بذكر الله وتكونوا كالجبال الراسية ، هذا معنى كلامه باختصار رضى الله عنه ، وهو كما قال ، لأن الزاهد فى الدنيا تفرغ وتخلى من الأكدار ، وتهيأ للأنوار ، فإذا نزل المدد وجد القلب متسعاً مطهراً منظفاً ، فملأه من أنواره وحلاه بحلية أسراره ، بخلاف ما إذا كان القلب معمورًا بأغيار الدنيا لم يجد المدد موضعاً ينزل فيه ، فيرجع من حيث جاء ، واعتقاد كمال الشيوخ هو عين الصدق . وبقدر الصدق ينبع المدد . ولا يمكن أن ينقطع الوهم أو يذهب الحس إلا بالصدق مع الزهد ، فبالزهد يتهيأ للمدد ، وبالصدق يفيض عليه المدد ، فكلما فاض ماء المدد غسل أوساخ الوهم ، فإذا لم

---

(١) النمل : ٨٨ .

يبق للوهم أثر حصل الغرق فى البحر ، والله تعالى أعلم .

ثم فسر الأمداد وكيفية الاستعداد فقال :

[**وشروق الأنوار ، على حسب صفاء الأسرار**] :

قلت : شروق أنوار المعارف فى أفق سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الآثار ، وغيم الأغيار ، وغين الأنوار ، كما قال الشاعر :

إِنْ تَلَاشَى الْكَوْنُ عَنْ عَيْنِ قَلْبِى شَاهَدَ السِّرُّ غَيْبَهُ فِى بَيَانِ
فَاطْرَحِ الْكَوْنَ عَنْ عِيَانِكَ وَامْحُ نُقْطَةَ الْغَيْنِ إِنْ أَرَدْتَ تَرَانِى

فبقدر صفائها ومحوها يكون تمام إشراق نورها ، فإذا انجلت عن سماء القلوب سحب الآثار وغيم الأغيار ، أشرق فيها نور الفناء ، فيغيب القلب والروح عن الرسوم ، ولم يبق إلا الحى القيوم ، وإذا انجلت عن الأسرار غين الأنوار أشرق فيها نور البقاء فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ؛ ولصاحب العينية رضى الله عنه :

فَنِيَتْ بِهَا عَيْنِى فَمَالِى أَنِيَّةٌ هوِيَّةُ لَيْلَى لِلأَنِيَّةِ قَاطِعُ
وَكُنْتُ كَمَا إِنْ لَمْ أَكُنْ وَهْوَ أَنَّهُ كَمَا لَمْ يَزَلْ فَرْدًا وَلِلْكُلِّ جَامِعُ
فَشَمْسِىَ فِى أُفْقِ الْأُلُوهَةِ مُشْرِقٌ وَبَدْرِىَ فِى شَرْقِ الرُّبُوبَةِ طَالِعُ
فَأَفنيْتُهَا حَتَى فَنَتْ وَهْىَ لَمْ تَكُنْ وَلٰكِنَّنِى بِالْوَهْمِ كُنْتُ أُطَالِعُ

فعلامة شروق هذه الأنور ترك التدبير والاختيار ، والاكتفاء بنظر الواحد القهار ، كما أشار إليه بقوله :

[**الغافل إذا أصبح نظر ماذا يفعل ، والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به**] .

قلت : الغافل هو الجاهل بالله ولو كثر ذكره باللسان ، والعاقل هو العارف بالله ولو قل له ذكر اللسان ، إذ المعتبر هو ذكر الجنان ، فالغافل نفسه موجودة ، وآماله ممدودة ، إذا أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه فيدبر شئونه ومآربه بعقله وحدثه ، فهو ناظر لفعله ، معتمد على حوله وقوته ، فإذا فسخ القضاء ما أبرمه ، وهدم له ما أمله ، غضب وسخط وحزن وقنَط ، فنازع ربه وأساء أدبه ،

فلا جرم أنه يستحق من الله البعد ، ويستوجب فى قلبه الوحشة والطرد ، إلا إن حصل له إياب ، وأدام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب ، فحينئذ يلتحق بالأحباب .

وأما العاقل وهو العارف فقد تحققت فى قلبه عظمة ربه ، وانجمع إليه بكلية قلبه فأشرقت فى قلبه شموس العرفان ، وطوى من نظره وجود الأكوان ، فليس له عن نفسه أخبار ، ولا مع غير الله قرار ، تصرفه بالله ومن الله وإلى الله ، فقد فنى عن نفسه وبقى بربه فلم ير لها تركاً ولا فعلا ولا قوة ولا حولاً ، فإذا أصبح نظر ماذا يفعل الله به فتلقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة والحبور لما هجم عليه من حق اليقين والغنى برب العالمين .

قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أصبحت وما لى سرور إلا مواقع القدر .

وقال أبو عثمان رضى الله عنه : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ، ولا نقلنى إلى غيره فسخطته ا هـ .

فإذا أراد الفقير أن يكون تصرفه بالله فلينعزل عن حظوظه وهواه فإذا أراد أن يفعل أمراً فليتأن ويصبر ويستمع إلى الهاتف فإن الله سبحانه يسمعه ما يريد أن يتوجه إليه فعلا أو تركاً ، وقد جربنا هذا فى سفرنا وإقامتنا فكنا لا نتصرف إلا بإذن خاص والحمد لله . وصاحب الاعتناء كله هكذا مع التأنى ، فإن التأنى من الله ، والعجلة من الشيطان ، وكثيرًا ما كان الشيخ المجذوب الولى العارف سيدى أحمد أبو سلهام ينشدنى هذا البيت :

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِأَمْرٍ تُرِيدُهُ وَكُنْ رَاحِماً بِالْخَلقِ تُبْلَى بِرَاحِمِ

فعليك أيها المريد بالاعتناء بهذا الأمر ، وافهم عن الله فى أمورك كلها وأنشد على نفسك :

اتْبَعْ رِيَاحَ الْقَضَا وَدُرْ حَيْثُ دَارَتْ وَسَلِّمْ لِسَلْمَى وَسِرْ حَيْثُ سَارَتْ

واستعن على هذا الأمر بأدعيته عليه الصلاة والسلام فى هذا المقام كقوله :

« اللهُمَّ إِنِّى أَصْبَحْتُ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَا مَوْتًا وَلَا

حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنى وَلَا أَنْ أَتَّقِى إِلَّا مَا وَقَيْتَنِى ، فَوَفِّقْنِى اللَّهُمَّ لِمَا تَرْضَاهُ مِنِّى مِنَ الْقَوْلِ وَالفِعْلِ ، وَفِى عَافِيَةٍ وَسِتْرٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ » .

وكقوله أيضا عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو ، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بِيَدِ غَيْرِى ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَناً بِعَمَلِى فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّى ، اللَّهُمَّ لَا تُشْمِتْ بِى عَدُوِّى وَلَا تُسِئْ بِى صَدِيقى ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبتى فى دِينى ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّى ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِى ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَىَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِى » .

إلى غير ذلك من الأدعية التى تكسب الرضا والتسليم ، والمقصود من دعائه عليه الصلاة والسلام فهم معانيها لا مجرد ألفاظها ، فالمراد المعانى لا الأوانى ، والله تعالى أعلم .

ويجمع هذه المعانى وصية شيخ طريقتنا القطب ابن مشيش للرجل الذى قال له وظّف علىّ وظائف وأوراداً ، فغضب وقال له أرسول أنا فأوجب الواجبات . الفرائض معلومة ، والمعاصى مشهورة ، فكن للفرائض حافظاً ، وللمعاصى رافضًا ، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء ، ومن الجاه وإيثار الشهوات . واقنع فى ذلك كله بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضا - وهو جماله تعالى - فكن لله فيه شاكرًا . وإذا خرج لك مخرج السخط - وهو جلاله - فكن عليه صابرًا ، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات ، وأصل جامع لجميع الكرامات .

وحصن ذلك كله أربعة : صدق الورع ، وحسن النّية ، وإخلاص العمل ، ومحبة العلم ، ولا يتم ذلك إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح ا هـ .

وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : احرص أن تصبح وتمسى مفوضًا مستسلمًا لعله ينظر إليك فيرحمك ا هـ .

وقال بعضهم : من اهتدى إلى الحق لم يهتد إلى نفسه ، ومن اهتدى إلى نفسه

لم يهتد إلى الله : أى من رأى الحق غاب عن نفسه ، ومن رأى نفسه حجب عن الله .

ثم إن العاقل الذى ينظر ما يفعل الله هو العارف كما تقدم ، لأنه هو الذى يتحقق فيه ذلك ، ومن علامته أنه لا يستوحش من شيء لمعرفته فى كل شيء وفهمه عن الله فى كل شيء ، بخلاف غيره من العباد والزهاد وهو الذى أشار إليه بقوله :

[إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله فى كل شيء ، فلو شهدوه فى كل شيء لم يستوحشوا من شيء] .

قلت : العباد هم الذين غلب عليهم الفعل ، فهم مستغرقون فى العبادة الحسية ، يقومون الليل ويصومون النهار ، شغلتهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود ، فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم ، والزهاد هم الذين غلب عليهم الترك ، فهم يفرون من الدنيا وأهلها ، ذاقوا حلاوة الزهد فوقفوا معه وحجبوا عن الله ، فهم يستوحشون من الأشياء لغيبتهم عن الله فيها ، ولو عرفوا الله فى كل شيء ما استوحشوا من شيء ولأنسوا بكل شيء ، وتأدبوا مع كل شيء . والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق فحجبوا أولا بالحق عن الخلق ، وبالمعنى عن الحس ، وبالقدرة عن الحكمة ، ثم ردوا إلى شهود الحق فى الخلق والقدرة فى الحكمة ، فحين عرفوه فى كل شيء ، أنسوا بكل شيء وتأدبوا مع كل شيء ، وعظموا كل شيء . وفى هذا المقال قال المجذوب رضي الله عنه :

الخَلْقُ نَوارٌ وَأَنَا رَعَيْتُ فِيهِمُ هُمُ الْحَجَبُ الْأَكْبَرُ وَالمَدْخَلُ فِيهِمُ

وقال سيدى على رضى الله عنه على قول الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى شأن الخلق : أراهم كالهباء فى الهواء ، إن فتشتهم لم تجدهم شيئًا ، قال بل إن فتشتهم وجدتهم شيئاً ، وذلك الشيء ليس كمثله شيء ، يعنى وجدتهم مظاهر من مظاهر الحق أنوارًا من أنوار الملكوت ، فائضة من بحر الجبروت ، كما قال صاحب العينية رضى الله عنه :

تَجَلَّيْتَ فى الأَشْيَاء حينَ خَلَقْتَهَا فهَا هِيَ مِيطَتْ عَنْكَ فِيهَا الْبَرَاقِعُ
قَطَعْتَ الْوَرَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ قِطْعَةً وَلَمْ يَكُ مَوْصُولٌ وَلَا فَصْلَ قَاطِعُ

وقال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه :

طَلَعَ النَّهَارُ عَلَى قَلْبِى حتَّى نَظَرْتُ بِعيْنِيا أَنْتَ دَلِيلِى يَارَبِّى أَنْتَ أَوْلَى مِنِّى بِيَا

والحاصل : أن العارفين بالله غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق ، فهم مع الخلق بالأشباح ، ومع الحق بالأرواح ، ماتوا وبعثوا وقامت قيامتهم ، وتبدلت فى حقهم الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار ، فهم يرون الأنوار والناس فى ظلمة الأغيار .

تجلى الذات

كشف لهم فى هذه الدار عن أسرار مكنوناته مسدولة عليها قهارية أستاره وسيكشف لهم فى تلك الدار عن أسرار ذاته من غير حجاب الحكمة التى هى أثر صفاته ، كما أشار إلى ذلك بقوله :

[أمرك فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته . وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته] .

قلت : إنما أمرك فى هذه الدار أن تنظر إليه بواسطة مكوناته ، لأنك لا تقدر هنا أن تنظر إلى حقيقة ذاته المقدسة فى عظمة الجبروت الأصلى بلا واسطة ، لضعف نشأتك وإن كان ذلك جائزاً عقلا ، ولذلك طلبه سيدنا موسى عليه السلام ، لكن حكمة الحكيم اقتضت تغطية أسرار الربوبية ، بأنوار سبحات الألوهية ، إذ لابد للحسناء من نقاب ، وللشمس من سحاب ، ولو ظهر من غير رداء الكبرياء لوقع الإدراك ولم يبق حينئذ ترق ، فالترقى فى أسرار الذات إنما هو بالنظر إلى أنوار الصفات وهو لا ينقطع أبدًا فى الدارين ، فلا تنالِ الذات من غير مظهر أصلا ، فالمعنى لا تقبض إلا بالحس . هذا مذهب أهل التحقيق من أهل المعانى .

فإن قلت : كيف فرق الشيخ بين الرؤيتين باعتبار الدارين والتحقيق أنها رؤية واحدة لأن المظهر متحد ؟

فالجواب : أنه لما كان مظهر هذه الدار الحس فيه غالب على المعنى ، والحكمة ظاهرة والقدرة باطنة ، ومظهر الدار الآخرة بالعكس ، المعنى فيه غالب على الحس ، والقدرة ظاهرة ، انكشف ثم عن حقيقة الذات أكثر مما انكشف هنا ، فبهذا المعنى وقع التفريق بين الرؤيتين ، ومثله قول الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه فى حزبه الكبير : عز الدنيا بالإيمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة ا هـ ، هذا باعتبار الخواص . وأما العوام فلا يرون إلا الحس فى هذه الدار وفى تلك الدار .

وأما الرؤية التى تحصل لهم يوم المزيد فيحتمل أن يظهر لهم نوراً من أنوار قدسه ويلهمهم المعرفة فيه وهو ظاهر الحديث ، أو يفنيهم عن حسهم فى ذلك الوقت حتى يشهدوا معانى الذات ويتلذذوا برؤيتها ثم يردهم إلى حسهم .

والحاصل : أن تجلى الذات على قسمين :

قسم يكون بوسائط كثيفة ، ظاهرها ظلمة وباطنها نور ، ظاهرها حكمة وباطنها قدرة ؛ ظاهرها حس وباطنها معنى . وهو تجلى هذه الدار .

وقسم يكون بوسائط لطيفة نورانية ، ظاهرها نور وباطنها نور ، ظاهرها قدرة وباطنها حكمة . ظاهرها معنى وباطنها حس ، وهو تجلى دار الآخرة .

فالعارفون لما حصل لهم الشهود والمعرفة فى هذه الدار وفى تلك الدار لا يحجبهم عن الله حور ولا قصور ، بل دائماً فى النظرة والسرور والنضرة والحبور ، وذلك أنهم لما عرفهم به هنا لم يحجبهم هنالك ، يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه ، بخلاف العامة فإنهم لما حجبهم هنا بشهود أنفسهم انحجبوا هناك عن رؤية معبودهم إلا فى وقت مخصوص على وجه مخصوص ، ولذلك كتب ابن العربى الحاتمى إلى الإمام الرازى فقال له : تعال نعرفك بالله اليوم قبل أن تموت ؛ فإذا تجلى الله لعباده أنكرته ولم تعرفه .

وسئل الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه عن رجل يدعى أنه يرى الله ببصره فاستدعاه فسأله عن ذلك ، فقال : نعم ؛ فانتهره ونهاه عن

هذا القول ، ثم قيل له أمحق هو أم مبطل ؟ فقالِ : هو محق ملبس عليه . وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته إلى بصره فنفذ فرأى بصره بصيرته ، وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده ، فظن أن بصره رأى ما شاهدته بصيرته ، وإنما رأى بصره بصيرته فحسب ا هـ .

والحاصل : أنه انعكس بصره فى بصيرته فرآه ببصيرته وظن أنه رآه ببصره . ومعنى ذلك أن الروح مادامت محجوبة بالبشرية كان النظر إنما هو للبصر الحسى فلا يرى إلا الحسى ، فإذا استولت الروحانية على البشرية انعكس نظر البصر إلى البصيرة فلا يرى البصر إلا المعانى التى كانت تراها البصيرة ، وهو معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب :

غَيَّبْتُ نَظَرِى فِى نَظَرْ وَأَفْنَيتُ عَنْ كُلِّ فَانِى
حَقَّقْتُ مَا وَجَدْتُ غِيَرْ وَأَمْسَيْتُ فى الحَالِ هَانِى

والله تعالى أعلَم .

وإنما أمرك فى هذه الدار أن تنظر إليه فى مكوناته تسلية لك عن شهود ذاته والنظر إليه ، إذ لا صبر للمحب عن محبوبه ، كما أبان ذلك بقوله :

[لما علم أنك لا تصبر عنه ، أشهدك ما برز منه] .

قلت : لما فصل الحق سبحانه هذه الروح التى هى لطيفة نورانية من أصلها وتغربت عن وطنها تعشقت إلى أصلها وتعطشت إلى محبة سيدها ، فلما علم الحق سبحانه أنها لا تصبر عنه ، ولا تقدر أن تراه على ما هو عليه من كمال جلاله ونور بهاء جماله مادامت فى هذا السجن الذى هو قفص البدن ، أشهدها الحق تعالى ما برز منه من تجلياته فى مظاهر مكوناته وآثار صفاته ، لكن لابد للحسناء من نقاب ، وللشمس من سحاب فبرزت أنوار الجبروت إلى رياض الملكوت ، فغطتها سحائب الحكمة وآثار القدرة ، فبقيت الروح تتعشق إلى أصلها من وراء سحاب الأثر ، فإذا انقشع السحاب ورفع الحجاب لقى كل حبيب حبيبه ، وعرف كل إنسان مثواه ومستقره ، فقنعت الروح بشهود المعانى خلف رقة الأوانى ، وإليه أشار الشيخ الغوث أبو مدين رضى الله عنه بقوله :

فَلوْلَا مَعَانِيكُمْ تَرَاهَا قُلُوبُنَا إِذَا نَحْنُ أَيْقَاظٌ وفى النَّوْمِ إِنْ غِبْنَا
لَمُتْنَا أَسًى مِنْ بُعْدِكُمْ وَصَبَابَةً وَلٰكِنَّ فى المَعْنَى مَعَانِيكُمُ مَعْنَا

أى فلولا معانى ذاتكم تراها قلوبنا فى مظاهر صفاتكم لمتنا عشقاً ، أو فلولا معانى ربوبيتكم تراها قلوبنا فى مظاهر مكوناتكم ، أو فلولا معانى الجبروت تراها قلوبنا فى عالم الملكوت لمتنا أسى ، أى حزناً على فراقكم وشوقاً إلى لقائكم وقوله : « ولكن فى المعنى معانيكم معنا » أى ولكن معانيكم التى تشاهدها قلوبنا فى المعنى معنى عظيم فاستأنسنا بمشاهدتها وأنست أرواحنا بها ، فلم تمت عشقًا وشوقًا ، والله تعالى أعلم .

تلوين الطاعات

ومما تستأنس به الروح عن صدمات المحبة اشتغالها بالخدمة كما أشار إلى ذلك بقوله :

[لما علم منك وجود الملل ، لوّن لك الطاعات] .

قلت : من كرمه تعالى وحسن اختياره لك أيها العبد أنه لما علم أنك لا تقدر أن تصبر عنه أشهدك ما برز منه ، ولما علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقدر أن يشهده فيما برز منه أشغله بخدمته ، ولما علم منه أنه ربما يملّ من خدمة واحدة لوّن له طاعته ، لأن من شأن النفس أن تمل من تكرر الشىء الواحد ، وفى ذلك يقول الشاعر :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كانَتْ مُدَبِّرَةً إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

فلوَّن لك طاعته ، فإذا مللت من الصلاة مثلا انتقلت إلى ذكره ، وإذا مللت من ذكره انتقلت إلى قراءة كتابه وهكذا ، وأنواع الذكر كثيرة ، والتنقل من موجبات النشاط . فالعبادة مع النشاط ولو قلت أعظم من العبادة مع الكسل وإن كثرت ، ليس العبرة بكثرة الحس وإنما العبرة بوجود المعنى .

وقال الشيخ زروق رضى الله عنه : فلوّنت له الطاعة لثلاثة أوجه :

أحدهما : رحمة به ليستريح من لون إلى لون .
الثانى : إقامة للحجة عليه إذ لا عذر له فى الترك .
الثالث : ليثبت له النسبة فى العمل بوجود التخيير فى الجملة فتكمل الكرامة وتسهل الطاعة .

فقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : إذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد ، ومن سار إلى الله بطبعه كان الوصول أقرب إليه من طبعه ، ومن سار إلى الله بمخالفة طبعه كان الوصول إليه بقدر بعده عن طبعه ، ومتى يصح بعده عن طبعه والمقصود إنما هو موافقة الحق لا مخالفة النفس ، وشواهد السنة لا تخفى فافهم .

ومن دواعى الملل وجود الشره وهو الحرص ، وموجبه هو الإطلاق فى العمل ، فلذلك قيدت الطاعة بأعيان الأوقات كما أبان ذلك بقوله :

[وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك فى بعض الأوقات] .

الشره : خفة فى النفس توجب المسارعة للعمل والإسراع فيه وينتج آفات ثلاثاً :

أولها : الترك عند الدوام لتروى النفس وضيقها .
الثانى : الملل ، وهو التثاقل إن لم يكن ترك .
الثالث : الإخلال بالحقوق لوجود العجلة .

والحجر بالوقت فيه فوائد ثلاث :

أولها : منع الشره ، إذ لو كانت مرسلة لوقعت النفس فيها على وجه الشره .
الثانى : نفى التسويف ، إذ لولا الوقت لكانت النفس تؤخره من زمن إلى زمن فيؤدى إلى التفريط .
الثالث : التمكين من العمل والتمكن فيه ، إذ لولا الوقت لأهمل العمل ولم يحافظ عليه لغلبة الهوى ولم يحفظه استعمالا للحظوظ ا هـ .

ثم بين وجه التحجير وهو الإتقان والإقامة فقال :

[ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة].

قلت : السر فى تحجير الصلاة فى بعض الأوقات لتشتاق النفس إليها وترتاح بها فيحصل فيها الخشوع والحضور وقرة العين ، بخلاف ما إذا كانت دائمة فيها فلا تتعشق إليها بل ربما تمل فتوقعها على غير تمام ، والمقصود منك حركة قلبك لا حركة جسمك :

« إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَعْمَالِكُمْ وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » .

ليس الشأن حركة الأشباح إنما الشأن خضوع الأرواح ، فالسر فى تحجير الصلاة عنك فى بعض الأوقات أن يكون همك إقامة الصلاة ، وهو إتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة لا وجود الصلاة من غير إقامة ، فهى ميتة خاوية فهى إلى العقوبة أقرب .

قال الإمام القشيرى رضى الله عنه : إقامة الصلاة هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ عليه أحكام الأمر بما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها محو ، فنفوسهم منه مستقبلة إلى القبلة ، وقلوبهم مستقرة فى حقائق الوصلة ا هـ .

وقال المؤلف رضى الله عنه : إقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عماله : إن أهم أموركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ا هـ من الشيخ زروق .

الخشوع فى الصلاة

ثم ذكر وجه كون المطلوب هو الإقامة دون الوجود من حيث هو فقال :

[**فما كل مصل مقيم**] .

قلت : لأن الإقامة فى اللغة هى الإكمال والإتقان ، يقال أقام فلان داره : إذا أكملها وجعل فيها كل ما يحتاج إليه ، فإقامة الصلاة إتقانها كما تقدم وضد

الإقامة هو الإخلال والتفريط ، فليس كل مصل مقيماً ، فكم من مصل ليس له من صلاته إلا التعب .

وفى بعض الأحاديث : « مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ تَزِدْهُ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا » .

وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا صَلَّى الْعَبْدُ فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا لُفَّتْ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ » .

أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، فالمصلون كثير ، والمقيمون قليل . فأهل الأشباح كثير وأهل القلوب قليل .

قال أبو بكر بن العربى المعافرى رحمه الله : ولقد رأيت ممن يحافظ عليها آلافًا لا أحصيها فأما من يحافظها بالخشوع والإقبال فما استوفى منهم خمسة .

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه : كل موضع ذكر فيه المصلون فى موضع المدح فإنما جاء لمن أقام الصلاة إما بلفظ الإقامة أو بمعنى يرجع إليها ، قال الله سبحانه .

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)[1] ، (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ)[2] ، (وَأَقَامَ الصَّلَاة)[3] . (وَالْمُقِيمِى الصَّلَاةِ)[4] ولما ذكر المصلين بالغفلة قال : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)[5] ، ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة ا هـ .

واعلم أن الخشوع فى الصلاة على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : خشوع خوف وانكسار وإذلال ، وهو للعباد والزهاد .

المرتبة الثانية : خشوع تعظيم وهيبة وإجلال ، وهو للمريدين السالكين .

---

(١)-البقرة : ٣ . (٢) إبراهيم : ٤٠ . (٣) التوبة : ١٨ .

(٤) الحج : ٣٥ . (٥) الماعون : ٤ ، ٥ .

المرتبة الثالثة : خشوع فرح وسرور وإقبال ، وهو للواصلين من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين كمايأتى إن شاء الله .

ثم اعلم أن الصلاة التى لا يصحبها خشوع ولا حضور هى باطلة عند الصوفية غير مقبولة عند العلماء ، وقالوا : ليس للعبد من صلاتِه إلا ما حضر فيها قلبه : فقد يكون له ربع صلاته أو نصفها بقدر ما حضر فيها ، ويعين على الخشوع الزهد فى الدنيا وهذا هو الدواء الكبير ، إذ محال أن تكون عندك بنت إبليس ولا يزورها أبوها ، فلا يتأتى الخلوص من الخواطر مادامت فى القلب وقليلها هو كثيرها ، فمن بقيت فيه بقية منها فإنه تأتيه الخواطر على حسبها ، فمحال أن تكون شجرة الدنيا فى قلبك وتسلم من الخواطر .

ومثال ذلك كشجرة عندك فى بستان يجتمع عليها الطيور ويهولونك بأصواتهم ، فكلما شوشتهم رجعوا فلا ينقطعون عنك أبداً حتى تقطع تلك الشجرة ، فإذا قطعتها استرحت من أصواتهم ، فكذلك الدنيا مادامت فى اليد وهو معمور بها ، لا يسلم القلب من الخواطر حتى يخرج عنها ، وحينئذ يستريح من مساويها ، والله تعالى أعلم .

ومما يعين أيضاً على الخشوع : الإكثار من ذكر الله بالقلب والقالب ، وإدمان الطهارة لأن الظاهر له تعلق بالباطن ، إذا طهر هذا ، طهر هذا وبالله التوفيق .

ثم ذكر نتائج الصلاة وثمراتها ، ومرجعها إلى ست كل واحدة توصل إلى ما بعدها . (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى)[1]

فأشار إلى الأولى بقوله :

[الصلاة مطهرة للقلوب]

قلت : إنما كانت الصلاة طهرة للقلوب من المساوئ والعيوب ، لما فيها من الخضوع والانكسار ، والذل والافتقار ، والتذلل والاضطرار : فإذا خضع القلب لهيبة الجلال طهر من سائر العلل ، لأن طلب العلو والرفعة هو أصل العلل وعنصرها ، ومن شأن النفس وطبيعتها لطلب العلو والاستكبار والتعزز والافتخار ، لأنها جاءت من عالم العز فلا ترضى إلا بالعز ، وإلى هذا أشار

---

(٧) النجم : ٤٢ .

شيخ شيوخنا المجذوب بقوله :

مَنْ أَيْنَ جِئْتِ يَاذى الرُّو حِ الهايْما رُوحانيَّا
مَقَامُهَا بِساطُ الْعِـ ـزِّ أَحْوَالُهَا رَبَّانِيَّا

فلما ركبت هذا القالب الجسمانى ردتها القهرية إلى العبودية ، وجعلتها لها باباً للوصول إلى حضرة الربوبية ، فلا يطمع لها فى الرجوع إلى أصلها إلا بانكسارها وذلها ، ولذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه : أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها ازدحامًا فأتيت باب الذل والانكسار فوجدته خالياً ، فدخلت منه وقلت هلموا إلى ربكم ، هكذا سمعته من أشياخنا ، فإذا انكسرت وذلت رجعت لأصلها ووصلت ، وإذا تعززت واستكبرت حجبت وطردت ، وإذا طردت بعدت ، وكلما بعدت عن الحضرة الربانية استحكمت فيها الشهوات الجسمانية والأخلاق الشيطانية ، فاتصفت حينئذ بكل خلق دنى وبعدت من كل خلق سنى .

فإذا أراد الله تعالى أن يرحمها بالقرب من جنابه والوقوف ببابه ، ألهمها الصلاة وحببها إليها ، حتى إذا تطهرت من الذنوب ومحيت عنها المسَاوى والعيوب ، قربت من حضرة الحبيب ومناجاة القريب ، فقرعت الباب ، وطلبت رفع الحجاب ، وهذا معنى قوله :

[واستفتاح لباب الغيوب] .

وهى النتيجة الثانية من نتائج الصلاة .

قلت : المراد بالغيوب أسرار الملكوت وأسرار الجبروت ، وإنما كانت الصلاة استفتاحاً لباب الغيوب ، لما اشتملت عليه من تطهير الظاهر والباطن .

قال محمد بن على الترمذى الحكيم رضى الله عنه : دعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم ، وهيأ لهم فيها أنواع الضيافة لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه ؛ فالأفعال كالأطعمة والأقوال كالأشربة ، وهى عرش الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته فى كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس من الأغيار ا هـ .

فإذا تطهر الظاهر بالطهارة الحسية ، والباطن بالطهارة المعنوية ، استحق

الدخول إلى الحضرة القدسية ، فأول ما يتحف به قربه إلى الباب وسماع خطاب الأحباب من وراء حجاب فيتمتع بمناجاة الأحباب ولذيذ الخطاب ، وهو معنى قوله :

[الصلاة محل المناجاة] .

وهى النتيجة الثالثة .

قلت : المناجاة هى المسارة والمكالمة مع الأحباب ، فمناجاة العبد ربه بالتلاوة والأذكار ، ومناجاة الرب لعبده بالتفهم والفتح ورفع الأستار .

وفى الحديث الصحيح : « المُصَلِّى يُنَاجِى رَبَّهُ » .

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى وَلَعَبْدِى مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قال تعالى : حَمِدنِى عَبْدِى ، فإِذَا قَالَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، قال الله تعالى : مَجَّدَنِى عَبْدِى ، فَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فَوَّضَ إِلَىَّ عَبْدِى ، فَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : هٰذِهِ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى ، فَإِذَا قَالَ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الآية ، قَالَ اللهُ هٰذِهِ لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ » الحديث .

فلا يزال المصلى يناجى ربه ويطلب قربه ، حتى تتمكن المحبة من القلب والإقبال من الرب ؛ فتصفو المحبة من كدر الجفا ، ويتصل المحب مع حبيبه فى محل الصفا ، وهو معنى قوله :

[ومعدن المصافاة] .

وهى النتيجة الرابعة .

قلت : المعدن هو محل الذهب والفضة ، استعير هنا لصفاء القلوب والأرواح لتصفيتها من لوث صلصال الأشباح ، فالمصافاة خلوص المناجاة من تشويش الحس وكدر الهواجس ، فهى أرق وأصفى من المناجاة كما قال ابن الفارض رضى الله عنه :

وَلَقَدْ خَلَوْتُ مَعَ الْحَبِيبِ وَبَيْنَنَا سِرٌّ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى

وهذه مصافاة العبد لربه ، ومصافاة الرب لعبده بالإقبال عليه حتى لا يدعه لغيره .

وفى الخبر : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ رَفَعَ الله الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَوَاجهَهُ بِوَجْهِهِ وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ مَنْكِبَيْهِ إِلَى الْهُوِيِّ يُصَلُّونَ بِصَلاتِهِ » ا هـ .

فإذا تمت التصفية ، وعظمت المحبة ، وكثر العطش ، وظهر الدهش استحقت الروح رفع الحجاب وفتح الباب ، فتدخل إلى حضرة الأحباب ، ويرتفع بينها وبينهم الحجاب فتخرج من ضيق الأشباح ، إلى فضاء عالم الأرواح أو من ضيق الملك إلى سعة عالم الملكوت ، وهو معنى قوله :

[تتسع فيها ميادين الأسرار] .

وهى النتيجة الخامسة .

قلت : الميادين : جمع ميدان ، وهو مجال الخيل ، استعير هنا لفضاء عالم الملكوت .

فإذا تنزهت الروح فى عالم الملكوت وجالت بفكرتها فى سعة أنوارها أشرقت عليها أنوار سنا الجبروت ، وهو معنى قوله :

[وتشرق فيها شوارق الأنوار] .

وهى النتيجة السادسة .

قلت : أراد بالأسرار أسرار الذات وهو لأهل الفناء ، وبالأنوار أنوار الصفات وهو لأهل البقاء ، والله أعلم . وأراد الشيخ بهذه الصلاة التى تنقله من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام صلاة أهل الاعتناء ، وهم أهل السلوك على يد الشيوخ لا صلاة أهل الغفلة ، وصلاة أهل المجاهدة من العباد والزهاد ، فليس لهم هذا السير ، والله تعالى أعلم .

قال أبو طالب : حدثنا أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين فى أقطار الأرضين خوفاً منه ، لأنه تأهب للدخول على الملك ، فإذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه بسرادق لا ينظر إليه وواجَهه الجبار بوجهه ، فإذا

قال : الله أكبر اطلع الملك فى قلبه فإذا ليس فى قلبه أكبر من الله ، فيقول الملك صدقت الله أكبر فى قلبك كما تقول ، فيتشعشع فى قلبه نور يلحق ملكوت العرش ، فينكشف له بذلك ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات . قال : وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل ، فإذا كبر اطلع الملك فى قلبه فإذا كل شىء فى قلبه أكبر من الله عنده ، فيقول الملك كذبت ليس الله فى قلبك كما تقول ، فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت ، قال : فيرد ذلك الحجاب صلاته ، وتلتقم الشياطين قلبه ، ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما فعل .

ثم ذكر حكمة حصرها فى عدد معلوم وهو خمسة فقال :

[علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها] .

وهى خمس بعد أن كانت خمسين .

فمن لطفه سبحانه بك أيها الإنسان قلل أعدادها مع سعة الزمان . فجعل عليك صلاة فى أول نهاره شكراً لما أظهره لك من باهر أنواره ، وليكون نهوضك إليه فى أول قيامك جبرًا لما حصل من غفلتك فى طول منامك . وجعل عليك صلاة فى وسط نهاره إخمادًا عنك لما أظهره فى ذلك الوقت من وقود ناره . وجعل عليك صلاة قرب انصراف النهار ليكون شاهدًا لك بوجود طاعتك عند الملك الغفار ، ولتشهد عليك ملائكة الرحمن بالصلاة عند الملك الديان . وأوجب عليك صلاة فى أول زمان الليل استفتاحًا لذلك الزمان بوجود طاعتك كما استفتحت أول نهارك واستحفاظًا لما يتوقع من عجائب الليل . ثم لما أردت أن تنام عن سيدك وتغفل عن ربك وتتمتع بفراشك أمرك أن تودعه بحضورك معه ، وأن يكون آخر عهدك به وجود طاعتك ، فهذا كله جذب منه لك لحضرته ، واستخراج منك لشكر منته .

« عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلاسِلِ » .

وحين قلل أعدادها لما علم احتياجك إلى منته كثر إمدادها ، وإليه أشار بقوله :

[وعلم احتياجك إلى فضله فكثر إمدادها] .

المراد بالإمداد : الجزاء الذى رتب عليها ، فجعل كل صلاة بعشر ، فهى خمس وهى خمسون ، خمس فى الحس ، وخمسون فى المعنى ، أى الثواب . وإذا فعلت فى الجماعة كانت كل واحدة بخمس وعشرين وكل درجة بعشر ، فكان عدد صلاة الجماعة مائتين وخمسين فى كل صلاة :

(وَاللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ)[1] .

وتتفاوت الدرجة أيضًا بكثرة الجماعة وكمالها ، وبقدر الحضور والخشوع والغيبة ورفع الستور :

(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[2] .

وتتفاوت أيضًا بقدر البقاع كبيت الله الحرام والمسجد النبوى وبيت المقدس ، وبقدر رتبة الإمام .

« مَنْ صَلّى خَلْفَ مَغْفُورٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ » والله تعالى أعلم .

لكن لا ينبغى لك أيها الفقير أن تلتفت إلى هذا الحظ ، فإن فضل الله كثير لمن رفع همته إلى العلى الكبير كما أبان ذلك بقوله :

[متى طلبت عوضاً عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه . ويكفى المريب وجدان السلامة].

قلت : متى صدر منك عمل من أعمال البر وطلبت الحق سبحانه أن يجازيك عليه طلبك الحق تعالى بوجود الصدق فيه ، وهو سر الإخلاص ولبه الذى هو التبرى من الحول والقوة ، وانعزال النفس عن رؤية العمل لها بالكلية بعد تحقيق الحضور ، والسلامة من الوساوس والخواطر والهواجس حتى تكون صلاتك بالله ولله غائباً فيها عما سواه ، قد ملأت قلبك عظمة الله فغبت فى الله بالله ، فإن تحققت فيك هذه الأمور صح لك أن تطلب ما رتب الحق سبحانه على العمل من

---

(١) الحديد : ٢٩ .

(٢) السجدة : ١٧ .

أنواع الجزاء والأجور ، وإن لم تتحقق من نفسك هذه الأمور فاعلم أن عملك مدخول فاستحى من الله أن تطلب الجزاء على عمل مدخول ، فيكفيك من الجزاء وحصول المطلب السلامة من الهلاك والعطب . يكفيك من طلب حسن نواله السلامة من عقابه ونكاله ، يكفى المريب وهو المتهم وجدان السلامة من العقوبة فيما اتهم فيه ، فمن كان عند الملك متهماً وهو محبوس للعقوبة على ما اتهم فيه ثم قيل له إن الملك يمنحك ويعطيك كذا وكذا فيقول لهم يكفينى فى العطاء وجدان السلامة من عقوبته .

وأنت أيها الإنسان طولبت بالأعمال والإخلاص فيها وإتقانها وإتمام إقامتها فأتيت بطاعة مشوبة بالخواطر والوساوس ، وعلى تقدير سلامتها من ذلك ، فطلبك الجزاء يقتضى رؤية نفسك ، ووجود الفعل منك وهو شرك تستحق عليه العقوبة ، فيكفيك من عطائه وجود السلامة من عقابه .

قال الواسطى رضى الله عنه : العبادة إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الأعواض ا هـ .

وقال خير النساج رضى الله عنه : ميراث أعمالك ما يليق بأفعالك ، فاطلب ميراث فضله فإنه أتم وأحسن . وقال الله تعالى :

(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفرحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[1] .

ومعنى كلامه رضى الله عنه : أن جزاء أعمالك ما يليق بأفعالك الناقصة وجزاء الناقص ناقص ، فاطلب منه ثمرة فضله فإنه كامل من كل وجه فهو أتم وأكملٌ ، والله تعالى أعلم .

وكيف تطلب الجزاء على عمل لست له فاعلا ، ولا علمت كون القبول له حاصلا ؟ كما أشار بقوله :

[لا تطلب عوضاً على عمل لست له فاعلا ، يكفى من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا] .

---

(١) يونس : ٥٨ .

قلت : قد تقرر عند أهل الحق أن العبد مجبور فى قالب مختار ، فليس له فعل ولا اختيار ، وإنما الفاعل هو الواحد القهار ، قال تعالى :

(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)[١] وقال تعالى : (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)[٢] وقال تعالى : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ » أى النشاط .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى)[٤] الآية .

فإذا تقرر هذا فكيف يطلب العبد الأجر على عمل ليس هو فاعله ، وعلى تقدير نسبته إليه فالجزاء متوقف على القبول ، فمن أين تدرى هل يكون مقبولا أو لا ؟ وإذا تفضل عليك بالقبول على ما هو عليه من النقص والخلل ؛ فهذا يكفيك فى جزائك على العمل ، فلولا جميل ستره لم يكن عملك أهلا للقبول ، فلولا أن الله سبحانه تفضل على عباده بالعفو والحلم ما قبل عملا قط ، إذ تصفية الأعمال كادت تكون من المحال قال الله تعالى :

(وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ)[٥] . أى عظموه حق تعظيمه . وقال تعالى : (كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ)[٦] . أى لم يقض الإنسان ما أمره سيده على الوجه الذى أمره به ، وانظر قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا)[٧] .

---

(١) القصص : ٦٨ . (٢) الصافات : ٩٦ . (٣) التكوير : ٢٩ .
(٤) الليل : ٥ (٥) الزمر : ٦٧ . (٦) عبس : ٢٣ .
(٧) الأحقاف : ١٦ .

ولم يقل الحق تعالى نتقبل منهم ، لأنه يقتضى أنه كامل بل عدّاه بعن المفيدة للتجاوز كأنه قال أولئك الذين نتجاوز عنهم فى أحسن ما عملوا فنتقبلها منهم ، ولو لم يتجاوز عنهم فيها ما تقبلت منهم ، ولكن الكريم لا ينتقد بل يقبل كل ما يعطاه لعظيم كرمه وغناه .

فالحمد دائماً لله خلق فيه العمل وأعطانا عليه غاية المنى والأمل ، كما أشار إلى ذلك بقوله :

[إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك] .

قلت : الحق تعالى فاعل بالمشيئة والاختيار :

(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)[1] .

أى لا يسأل عما يفعل حقيقة وهم يسألون شريعة .

تقسيم العباد

ثم إن الحق سبحانه وتعالى قسم عباده على ثلاثة أقسام :

قسم أعدهم للانتقام ، فأظهر فيه اسمه المنتقم واسمه القهار ، أجرى عليهم صورة العصيان بحكمته ، ونسبها إليهم بعدله وقهره :

(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ)[2] ، (وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا)[3] .

فقامت الحجة عليهم باعتبار النسبة وإظهار الحكمة :

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[4] ، (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[5] .

وقسم أعدهم الله للحلم ، ليظهر فيه اسمه الحليم واسمه الرحيم ، أجرى عليهم العصيان وحلاهم بالإيمان فاستحقوا العقوبة على العصيان ، ثم إن الحق

---

(١) الأنبياء : ٢٣ .
(٢) الأنعام : ١١٢ .
(٣) الأنعام : ١٠٧ .
(٤) فصلت : ٤٦ .
(٥) النحل : ١١٨ .

تعالى حلم عليهم وعفا عنهم وأدخلهم الجنان .

وقسم أعدهم الله للكرم ، ليظهر فيه اسمه الكريم واسمه الرحيم ، خلق فيهم الطاعة والإحسان ، وحلاهم بالإسلام والإيمان ،وربما زادهم التحلى بالإحسان ، فأدخلهم فسيح الجنان ومتعهم بالنظر إلى وجه الرحمن ، فإذا أراد الله تعالى أن يلحقك بهؤلاء السادات هيأك لأنواع الطاعات ، وخلق فيك القوة على فعل الخيرات ، ثم نسب إليك ذلك الفعل فقال : يا عبدى فعلت كذا وكذا من الخير فأنا أجازيك عليه ، ادخل الجنة برحمتى وترقّ إلى مقامك بعملك فمقامك حيث انتهى عملك قال تعالى :

(كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا . ٱنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا)[1] وقال تعالى : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[2] .

ثم ينبغى لك أيها الإنسان أن تتأدب مع الملك الديان ، فلا تنسب إليه النقص والعصيان وإنما أغوتك نفسك والشيطان قال تعالى :

(فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ)[3] .

أى الشيطان ، فما كان من الكمال فانسبه إلى الكبير المتعال ، وما كان من النقصان فامسحه فى منديل النفس والشيطان .

قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه : إذا عمل العبد حسنة وقال يارب بفضلك عملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله ذلك له وقال : يا عبدى ، بل أنت أطعت وأنت تقربت .

وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه وقال له : يا عبدى أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت .

وإذا عمل سيئة وقال يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت ، غضب المولى جلت قدرته عليه وقال : يا عبدى بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت .

---

(١) الإسراء : ٢٠ ، ٢١ . (٢) النحل : ٣٢ . (٣) لقمان : ٣٣ .

وإذا قال يارب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال : يا عبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت ا هـ .

ثم إن هذه النسبة التى نسب الله لعبده بما خلق فيه بها يستحق المدح والذم ، فإذا خلق فيه الطاعة ونسبها إليه استحق المدح بلسان الشرع ، وإذا أجرى عليه المعصية وقضاها عليه استحق الذم بلسان الشرع أيضًا كما أشار إليه بقوله :

[لا نهاية لمذامّك إن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك] .

قلت : إذا أراد الله إهانة عبد وإذلاله رده إلى نفسه وهواه فأحيل عليها ووكل إليها فيوليه ما تولى ، فإذا استولى عليه الهوى أعماه وأصمه ، وفى مهاوى الردى أسقطه كما قال الشاعر :

تركُك نَفْسَكَ وهَوَاهَا سَعْىٌ لَهَا فى رَدَاهَا

فالهوى مختصر من الهوان وموجب له كما قال البرعى رحمه الله :

لَا تَتْبَعِ النَّفْسُ فى هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الهوَى هَوَانُ

وإذا أراد الله إعزاز عبد وعنايته ، أظهر عليه جوده وكرمه فتولاه وحفظه ، ولم يتركه مع نفسه وهواه طرفة عين ولا أقل من ذلك ، فلا نهاية لمذامّك أيها الإنسان إن ردك إلى نفسك وحكّمها فيك وتركك مع هواك ، لأن ذلك من علامة الإهمال وسقوطك من عين الكبير المتعال ، والعياذ بالله من كل خسر ووبال ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك فتولاك بحفظه ورعاك بعنايته وحجزك عن نفسك ، وحال بينك وبين تدبيرك وحدسك .

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام : « إِنْ تَكِلْنى إِلَى نفَسِى تَكِلْنِى إِلى ضَعْفٍ وَعَوْزَةٍ وَذَنْبٍ وَخَطِيئةٍ وَإِنِّى لَا أَثِقُ إلا بِرَحْمَتِكَ » .

والحاصل : أنك إن كنت بربك تكمّل عزك ولا يتناهى مدحك ، وإن كنت

بنفسك تكامل ذلك ولا يتناهى ذمُّك كما قال الشاعر :

إِذَا كُنَّا بِهِ تُهْنَا دَلَالَا عَلَى كُلِّ الحَرَائِرِ وَالْعَبِيدِ
وإِنْ كُنا بنا عُدنا إلينا فعطَّلَ ذلُّنا ذلَّ اليَهُودِ

أو تقول : من أهمله الله وتركه مع نفسه وهواه لا نهاية لمذامه وقبائحه ، فإن للنفس من النقائص ما لله من الكمالات ، ومن تولاه الله وأظهر جوده عليه ولم يتركه مع نفسه وأزعجه عن حظه وحال بينه وبين هواه ، فلا نهاية لمدائحه ، إذ كمالات الله لا نهاية لها وما هنا إلا مظاهره . فكما لا نهاية لجلاله كذلك لا نهاية لجماله ، والله تعالى أعلم .

هذا آخر الباب الثانى عشر .

وحاصلها : تعظيم الأوراد ، والتأهب لورود الأمداد ، وتصفية البواطن من الأكدار لتشرق عليها شموس الأنوار ، وهى شموس العرفان ، فيفنى العارف عن التدبير والاختيار ، فكل يوم ينظر ما يفعل الواحد القهار ، فيتأنس حينئذ بكل شيء ويتأدب مع كل شيء ويعظم كل شيء ولا يستوحش من شيء لمعرفته فى كل شيء ؛ فيستأنس فى هذه الدار بالنظر إلى الله فى حجاب صفاته وهى مظاهر مكوناته ، وسيكشف له فى تلك الدار عن كمال ذاته من غير حجاب صفاته .

وذلك أنه لما علم أنه لا يصبره عنه أشهده ما برز منه ، ولما علم أن من عباده من لا يقدر أن يشهده فى مكوناته أشغله بخدمته وعلم أيضًا أنه إن دام على عمل واحد ربما حصل له الملل ، لون له الطاعة والعمل ، وعلم ما فى عبده من الشره فحجرها عليه فى بعض الأوقات ليكون همه إقامة الصلاة لا وجود الصلاة . ثم ذكر ثمراتها ونتائجها ونهاك عن طلب العوض عليها لكونك لست عاملا لها وإنما هو فضل من الله عليك ، خلق فيك القوة ونسبها إليك ، فإن ردك إلى نفسك وتركك مع هواك لا تتناهى مذامك ، وإن أخذك عن نفسك وتولاك بجوده وفضله لاتفرغ مدائحك ، حيث صرت وليًّا من أوليائه وصفيًّا من أصفيائه ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين .